العقيدة في ضوء الكتاب والسنة ٤

الرسل والرسالات

أ.د. عمر سليمان عبدالله الأشقر

دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

العقيدة في ضوء الكتاب والسنة

(٤)

الرسل والرسالات

تأليف

الدكتور عمر سليمان الأشقر

مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

دار النفائس
للنشر والتوزيع - الكويت

الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الطبعة الثالثة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الرابعة

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

مكتبة الفلاح - الكويت
للنشر والتوزيع

شارع بيروت مقابل بريد حولي القديم
تلفون: ٢٦٤٧٧٨٤
ص.ب: ٤٨٤٨ الصفاة الرمز البريدي 13049 الكويت
برقيا: لفاتكو

دار النفائس
للنشر والتوزيع - الكويت

النقرة - شارع موسى بن نصير
قرب دوار الفارابي - هاتف ٢٦٢٩٥٨٣
ص.ب: ٦٦٠٩ حولي 32041 الكويت

تعريف النبي(١)

النبي ـ في لغة العرب ـ مشتقّ من النبأ وهو الخبر ، قال تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ؟ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ « سورة النبأ/١ ، ٢ » .

وإنّما سمّي النبيُّ نبيًا لأنه مُخْبِرٌ مُخْبَر ، فهو مُخْبَر أي أنَّ الله أخبره ، وأوحى إليه ، ﴿قَالَتْ :مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ؟ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ « سورة التحريم/٣ » ، وهو مخبِر عن الله تعالى أمره ووحيه ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ « سورة الحجر/٤٩ » ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ « سورة الحجر/٥١ » . وقيل النبوة مشتقّة من النَّبوة ، وهي ما ارتفع من الأرض ، وتطلق العرب لفظ النبيّ على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها ، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي ، أنَّ النبيَّ ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة ، فالأنبياء هم أشرف الخلق ، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم .

تعريف الرسول(٢)

الإرسال في اللغة التوجيه ، فإذا بعثت شخصا في مهمة فهو رسولك ، قال تعالى حاكيا قول ملكة سبأ : ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ « سورة النمل/٣٥ » وقديريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع

---

(١) راجع في هذه المسألة : لسان العرب ٣/٥٦١ ، ٥٧٣ ، بصائر ذوي التمييز ٥/١٤ ، لوامع الأنوار البهيّة ١/٤٩ ، ٢/٢٦٥ .

(٢) راجع في هذه المسألة : لسان العرب (٢/١١٦٦ ـ ١١٦٧) ، المصباح المنير ص ٢٢٦ .

أخبار الذي بعثه ، أخذاً من قول العرب : « جاءت الإبلُ رَسَلاً » أي متتابعة .

وعلى ذلك فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ « سورة المؤمنون / ٤٤ » ، وهم مبعوثون برسالة معيّنة مكلّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها .

الفرق بين الرسول والنبيّ

لا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبيّ ، ويدلُّ على بطلان هذا القول ما ورد في عدة الأنبياء والرسل ، فقد ذكر الرسول ـ ﷺ ـ أنَّ عِدَّة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ ، وعدَّة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً[١] ، ويدلّ على الفرق أيضا ما ورد في كتاب الله من عطف النبيّ على الرسول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ « سورة الحج / ٥٢ » ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدلُّ على أنَّ الرسالة أمر زائد على النبوة ، كقوله في حقّ موسى عليه السلام : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾« سورة مريم / ٥١ » .

والشائع عند العلماء أنَّ الرسول أعمُّ من النبي ، فالرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ، والنبيُّ من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ ، وعلى ذلك فكلُّ رسول نبيٌّ ، وليس كل نبيّ رسولاً[٢] .

وهذا الذي ذكروه هنا بعيد لأمور : **الأوّل** : أن الله نصَّ على أنّه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ . .﴾ ، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ .

الثاني : أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى ، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس ، ثمّ يموت هذا العلم بموته .

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٦٧) ، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩) .

الثالث : قول الرسول ﷺ « عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبيَّ ومعه الرهط ، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان ، والنبيَّ وليس معه أحد .. »[1] .

فدلَّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنَّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم .

والتعريف المختار أنَّ « الرسول من أوحي إليه بشرع جديد ، والنبيُّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله »[2] .

وقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما مات نبيٌّ قام نبيٌّ ، كما ثبت في الحديث[3] ، وأنبياء بني إسرائيل كلّهم مبعوثون بشريعة موسى : التوراة ، وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ..﴾ « سورة البقرة/٢٤٦ » فالنبي كما يظهر من الآية يوحى إليه شيء يوجب على قومه أمرا ، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ .

واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحيى فهؤلاء جميعا أنبياء ، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل ، والحكم بينهم وابلاغهم الحق ، والله أعلم بالصواب .

الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الإيمان

الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان ، قال تعالى : ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

(٢) تفسير الآلوسي (١٥٧/١٧) .

(٣) البخاري في صحيحه ، انظر فتح الباري (٤٩٥/٦) .

دَلائِلُ النُّبُوَّةِ

تمهيد

الأنبياء الذين ابتعثهم الله إلى عباده يقولون للناس : نحن مرسلون من عند الله ، وعليكم أن تصدقونا فيما نخبركم به ، كما يجب عليكم أن تطيعونا بفعل ما نأمركم به ، وترك ما ننهاكم عنه ، وقد أخبر الله في سورة الشعراء أنَّ نوحاً خاطب قومه قائلاً : ﴿ **أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ « سورة الشعراء / ١٠٦ ـ ١٠٨ » . وبهذا القول نفسه خاطب رسل الله : هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، أقوامهم ، بل هي مقالة ودعوة كل رسول لقومه .

فإذا كان الأمر كذلك فلا بدَّ أن يقيم الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة ، صدق الرسل في دعواهم أنهم رسل الله ؛ كي تقوم الحجّة على الناس ، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ « سورة الحديد / ٢٥ » أي بالدلائل والآيات البينات التي تدلُّ على صدقهم .

تنوع الدلائل

أفراد الأدلة الدالة على صدق كل رسول كثيرة متنوعة ، وقد عدّ الذين ألّفوا في دلائل نبوة نبينا محمد ـ أدلة صدقه فنافت على الألف عند بعضهم ، ويمكننا أن نقسم هذه الأدلة إلى أقسام ، يضمُّ كل قسم منها مجموعة متشابهة ، وقد أرجعنا أفراد الأدلة إلى خمسة أمور :

الأول : الآيات والمعجزات التي يجريها الله تصديقا لرسله .

الثاني : بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين .

الثالث : النظر في أحوال الأنبياء .

الرابع : النظر في دعوة الرسل .

الخامس : نصر الله وتأييده لهم .

وسنتناول كلَّ واحد من هذه الخمسة بشيء من الإيضاح والتفصيل .

ثالثاً : النظر في أحوال الأنبياء

إذا شئت أن تسبر غور إنسان ، وتتعرف على صدقه وأمانته ، فإنّك تنظر في قسمات وجهه ، وتحصي عليه أفعاله وأقواله ، وتراقب حركاته وسكناته ، والذين يستغلق عليك أن تصل في شأنهم إلى اليقين هم أولئك الذين لا تقابلهم إلا مقابلة سريعة ، أو أولئك الذين يخفون أنفسهم ، ويتكلفون في أقوالهم وأفعالهم فلا يظهرون على طبيعتهم .

والأنبياء والرسل كانوا يخالطون أقوامهم ، ويجالسونهم ويعاشرونهم ، ويعاملونهم في أمور شتى ، وبذلك يتسنى للناس أن يدرسوهم عن كثب ، ويتعرفوا إليهم عن قرب ، ولقد كانت قريش تسمي رسول الله ـ ﷺ ـ قبل بعثته بالأمين ، وذلك لصدقه وأمانته ، وعندما قال لهم الرسول ـ ﷺ ـ في مطلع الدعوة : لو أخبرتكم أنَّ وراء هذا الوادي خيلا تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا « رواه البخاري » وقد أرشد القرآن إلى هذا النوع من الاستدلال ﴿ **قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ « سورة يونس /١٦ » .

يقول لهم لقد مكثت فيكم زمنا ليس باليسير قبل أن أخبركم بأنني نبي ، فكيف كانت سيرتي فيكم ؟ وكيف كان صدقي إيّاكم ؟ أفأترك الكذب على الناس ، وأكذب على ربّ الناس ، (أفلا تعقلون) ؟ الا تعملون عقولكم لتهديكم إلى الحق ؟ !

خامسًا : تأييد الله لرسله ونصرته لهم

ومما يدلنا على صدق الأنبياء والمرسلين نصرة الله لهم وحفظه إياهم ، فإنّه يستحيل على الله تعالى أن يتقول عليه متقول ، فيدعي أنّه مرسل من عند الله وهو كاذب في دعواه ، ثمّ بعد ذلك يؤيده الله وينصره ، ويرسل الملائكة لتثبيته وحمايته ، لو فعل هذا ملك من ملوك الأرض ، فادعى مدع أنّه مرسل من قبله كذبا وزورا ، وعلم بذلك الملك المفترى عليه ، فإنّه سيلاحقه ، وإذا ظفر به فسيوقع به أشدّ العذاب ، فكيف يليق بخالق الكون العليم الحكيم أن يرى ويسمع رجلا يكذب عليه ويزعم أنّه رسوله ، ويحلل باسمه ويحرم ، ويشرع الشرائع ، ويضرب الرقاب ، ويزعم أنه يفعل ذلك بأمر الله ويرضاه ومشيئته ، ثم يؤيده الله وينصره ، ولا يوقع به عقابه وعذابه ؟ هذا لا يكون ابدا ، وإن وقع مثل هذا من كاذب مارق وظهر أمره ، وقويت شوكته يوما ، فلن يطول ذلك ، ولا بدّ أن يكشف الله أمره ، ويهتك ستره ، ويسلط عليه من يقهره ، ويجعله عبرة لغيره ، كما فعل الله بمسيلمة وسجاح والأسود العنسي من قبل[1] .

وقد أشار الله تعالى لهذا النوع من الاستدلال فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ « سورة النحل / ١١٦ » فحكم عليهم بعدم الفلاح ، وقال : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٥ ـ ١٦٧ وقد استدل بشيء قريب من هذا ابن القيم في كتابه هداية الحيارى انظر الجامع (ص ٥٦٢)

الْوَتِينَ﴾ « سورة الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٦ » والمعنى أنَّ الرسول ﷺ لـو تقوَّل على الله ما لم يقله الله لأهلكه الله .

وهذا الدليل ذو تأثير كبير على نفوس الناس ، فإن العرب لمّا رأت انتصار الإسلام صدقت وآمنت ودخلت في دين الله أفواجا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾ « سورة النصر/١ ـ ٢ » .

شبهة

وما يذكره بعض المكذبين برسالة محمد ﷺ من أنَّ النصر تمّ لفرعون ونمرود وجنكيزخان وغيرهم من الملوك الكفرة في القديم والحديث ، جوابه ظاهر ، فإن هؤلاء لم يدع أحد منهم النبوة ، وأن الله أمره أن يدعو إلى عبادته وطاعته ، ومن أطاعه دخل الجنّة ، ومن عصاه دخل النار بخلاف من ادعى أن الله أرسله ، ثمّ يؤيده الله وينصره ، وينصر أتباعه ويجعل العاقبة لهم فإنّه لا يكون إلاّ رسولا صادقا ، فلو كان كاذبا فلا بدّ أن ينتقم الله منه ، ويقطع دابره ، واعتبر في هذا بحال مسيلمة والأسود العنسي وسجاح ، واعتبر هذا بحال المسيح الدجال ، فإنّه يفتري على الله الكذب ويدعي الألوهية ، فيكشف الله ستره ، ويظهر أمره لمن كان عنده بصيرة ، فهو رجل أعور ، مكتوب بين عينيه كافر ،وإنّما يلتبس أمره على من لم يرزق نور الإيمان .